مجلة العلوم الاجتماعية ـ المجلد ١٤ ـ العدد ٤ شتاء ١٩٨٦ (الصفحات من ١٣٥-١٥٣)

قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فيبر: دراسة مقارنة

نيفين عبدالخالق مصطفى
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية/ جامعة القاهرة

شغلت «النبوة» ـ كظاهرة لها قداستها ـ الفكر الإنساني عبر مراحل متعددة ومنذ بدأ النبي ـ ﷺ ـ دعوته، وقضية الوحي والنبوة مثلت أساساً هاماً في المناقشات التي دارت بين المكذبين بنبوة «محمد» فما كانوا يقبلون أن يكون محمد البشر الذي يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق، نبياً يتلقى وحياً[١]، وكان الرعيل الأول من المسلمين لا يثيرون قضايا فلسفية، ولا مناقشات جدلية حول النبوة ومعجزاتها، وإنما كان شأنهم هو الإيمان والتسليم بكل ما جاء من عند الله، وكان القرآن والرسول يوضحان ما يمكن أن يثار من تساؤلات حول الوحي وطرائقه، وحول محمد البشر الرسول ـ مهمته ونبوته.

إلا أن ذلك الإذعان الفطري لم يبق بمنأى من الشك، وكان أشد ما يوجه للإسلام من تحدٍ هو تلك الآراء المنكرة للنبوة والتي تحاول هدم الدين من أساسه. ولقد أثارت هذه الآراء المنكرة وأثرها الاجتماعي والسياسي الفكر الإسلامي وحفزته للدفاع عن العقيدة، ونظرا لأن منكري النبوة إنما بنوا أفكارهم اعتماداً على ما أدعوه من حكم العقل، فلقد رد عليهم مفكرون إسلاميون مستخدمين نفس السلاح العقلي[٢].

وفي العصر الحديث يواجه المجتمع والفكر الإسلامي تحديات متعددة، لعل أبرزها يتمثل في محاولته الإبقاء على الارتباط بنموذج الأسوة والاحتذاء، وذلك في نفس الوقت الذي يتفاعل فيه مع الفكر الإنساني ومشاكل العصر.

ومن هذا المنطلق ندرس قيادة الرسول وخلافته، وذلك في إطار مقارن بالمدركات التحليلية لعالم الاجتماع ماكس فيبر، حيث كانت له اهتمامات بدراسة الأديان وتأثيرها على

المجتمع[٣]، ومما تناوله في نمط «القيادة الكاريزمية»[٤] كمستوى خاص في تحليله للسلطة والقيادة، تتضح مكانة قيادة النبي حيث ينظر إلى القيادة الكاريزمية على أنها في أنقى صورها وأكثرها حدة تكون هي موضع قيادة النبوة، وحيث يصف «فيبر» ـ النبي ـ بأنه الإنسان الذي يستطيع بواسطة الفضيلة والهبة الشخصية التي يمتلكها ـ «الكاريزما» ـ، وبفضيلة المهمة المقدسة والرسالة التي يدعو إليها ـ أن يدعو إلى عقيدة دينية أو أمر إلهي، فالنظر إلى النمط الكاريزمي على أنه مرتبط بنوع من النبوة الدينية ـ عند فيبر ـ يعتمد أساسا على وصف الخاصية الكاريزمية ببعض الصفات والمقومات المركزة التي تمكن صاحبها من الاتصال بالقوة العظمى المتحكمة في وجود الإنسان وفي الكون[٥].

وبناء على ذلك كان اهتمامنا «بالنمط الكاريزمي» للقيادة عند ماكس فيبر، ونحن نتناول نموذج «قيادة الرسول» كتعبير عن النبوغ والتميز الذي لن يتكرر وبالطبع فإن «قيادة الرسول» هي أعلى من «القيادة الكاريزمية» التي لم يقصرها فيبر على الأنبياء وحدهم وإنما هو استخدمها أساساً للأشخاص الموهبين بشكل فائق للعادة حيث تعني فضيلة «الكاريزما» لديهم الصفة التي تنتج من الحصول على مواهب ونعم إلهيَّة، فهي أساساً خاصية للسلوك وللشخصية تتعلق بهؤلاء الذين يستجيبون لها كمظهر للهبة والامتلاك بواسطة قوة مقدسة إلهية، ويعلق «بندكس» ـ وهو أحد من اعتنوا بشرح فكر ماكس فيبر، على نظرة «فيبر» تلك بأنه لاحظ أن الأنبياء يتميزون فوق كاريزميتهم الشخصية بأنهم مبعوثون بمهمة ورسالة مقدسة، فالأنبياء يشبهون تماماً صانعي القوانين أي أنه يشير إلى دور «قيادة النبوة» كمشرع يتلقى وحياً مقدساً[٦].

ونلاحظ أن إخضاع فيبر ظاهرة مثل «النبوة» لطريقة التفكير العقلاني، جعلته يساوي بين «النبي» وأي شخص يعتقد فيه أنه يمتلك مواهب غير عادية حيث يكفي مجرد الاعتقاد والاقتناع بامتلاك شخص ما لهذه المواهب غير العادية، حتى ولو لم تكن موجودة فيه فعلا، ولذلك فقد أكد فيبر على الحاجة إلى الاعتراف الاجتماعي بتلك الخاصية، والذي بدونه يصبح امتلاك القائد لهذه الهيبة وكأنه لا معنى له[٧].

وهذه النظرة تختلف عن نظرة الفكر الإسلامي إلى «النبوة» فالنبي يكون نبياً وطاعته واجبة حتى ولو كذّبه الناس جميعاً، ولا تنقضي رسالته بموته فهو نافذ الطاعة في حياته وبعد مماته[٨].

ومن ثم فإن القيادة الكاريزمية وإن لم تتطابق مع قيادة الرسول، إلا أنها تعبر عنها إلى حد ما، إضافة إلى أن «أزمة الخلافة» التي تعقب كلاهما تمثل وجه تشابه آخر يشجع على المقارنة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن مدرك «الكاريزما» لايبدو ـ من وجهة نظر الباحثة ـ بعيدا عن مجال الفكر الإسلامي الذي يهتم أساساً بظاهرة القيادة ويعنى أشد العناية بالصفات والشرائط المطلوبة في شخص القائد، ولهذه الملحوظة أهمية خاصة عند البحث في

تناول المجتمع الإسلامي لبعض قضايا الوجود السياسي والاجتماعي المتعلقة بالشرعية والضبط، والمعارضة وبناء المؤسسات ثم الأصالة والمعاصرة، التي تؤرق الأجيال الإسلامية المعاصرة، حيث يتمثل لب المشكلة في كيفية اتخاذها لمسلك يجعل المجتمع أصيلا مربوط الصلة بنموذج الأسوة والإحتذاء ويكون في نفس الوقت معاصراً ومتفاعلا مع مشاكل العصر وأحداثه المتغيرة، والهدف من استخدام مدركات عالم الاجتماع «ماكس فيبر» في تحليل النموذج القيادي للرسول وأزمة الخلافة التي أعقبته، هو أنها تمثل عاملاً مساعدا في فهم حقيقة تعامل المجتمع الإسلامي مع بعض القضايا الاجتماعية والسياسية، وذلك من خلال رؤية تحليلية سياسية واجتماعية تعد كأداة مساعدة من أجل مزيد من التحليل لما ينسب للفكر الإسلامي من ضعف وافتقار في النـاحية التأسيسية لمؤسسات الحكم والاقتصاد على وضع الصفات والمؤهلات المطلوبة في أشخاص القائمين بأدوار الحياة السياسية، هذا إضافة إلى قضايا سياسية أخرى.

أولا: قيادة الرسول والأنماط المثالية للسلطة:

إن فكرة «النمط المثالي»[٩] تتلخص في أنه يمثل أسلوبا نموذجيا معياريا، بمعنى أنه يمثل بناءً نظريا عاما توصف على أساسه الحالات الواقعية ويطلق «فيبر» على النمط أو النموذج أنه «مثالي» لأنه يتحقق كفكرة[١٠]، وعلى هذا الأساس وضع تصنيفا للسلطة في شكل ثلاثة أنماط مثالية وذلك استناداً لمعيار الشرعية، وتلك هي: السلطة التقليدية، والشرعية هنا تستند على الاعتقاد في قدسية التقاليد الممعنة في القدم، وفي شرعية طاعة الزعماء الذين يمارسون السلطة طبقاً لتلك التقاليد، والسلطة العقلانية القانونية، وهنا تؤسس الشرعية على الاعتقاد بأن أصحاب السلطة يصلون إليها ويمارسونها وفقا للقانون، ومن ثم فإن ما يتم عمله «بطريقة قانونية» ينظر إليه أنه شرعي، ثم السلطة الكارزيمية، وهنا تؤسس الشرعية على الإخلاص لشخصية استثنائية مثالية تمثل بطولة وقداسة من نوع خاص، ويعتقد امتلاكها لهبات ومواهب شخصية، ولما تمثله تلك الشخصية من نظام[١١].

ولقد أوضحنا آنفا مكانة قيادة الرسول داخل الإطار التحليلي «للقيادة الكاريزمية»، ونشير هنا أيضا إلى أن «فيبر» قد نظر إلى «القيادة الكاريزمية» على أنها تمثل مستوى خاصا من التحليل، حيث ميّز بين عزو الخصـائص الكـاريزمية إلى «القياد» وبـين عزوهـا إلى «السلطة»، ففي الحالة الأولى تصير الخاصية الكاريزمية لصيقة بشخص القائد نتيجة الاعتقاد بتمتعه بهبات ومواهب خاصة، أما في الحالة الثانية فإن هذه السمة الشخصية تنقطع حيث تصبـح الخـاصية الكاريزمية ملتصقة بالسلطة ويصبح شخص القائد مجرد رمز لها، ولهذه الملحوظة أهميتها في تحليل مرحلة الانتقال من قيادة الرسول إلى خلافته التي يصبح فيها «الخليفة» هو منفذ للشريعة وتكون طاعته واجبة وشرعيته قائمة طالما التزم بها.

ولقد بدت دعوة الرسول للإسلام وقت ظهورها كحركة معارضة ثورية جعلتها تبدو «غريبة»[١٢] ومعارضة لكثير مما كان سائداً ومألوفا عند ظهورها، وبالنظر إلى ما قرره «ماكس فيبر» بشأن الطبيعة الثورية للقيادة الكاريزمية، حيث يبدأ القائد عملية التحويل في القيم معتمداً على الشرعية الكاريزمية فيقوض دعائم النظام القديم ويشرع في بناء نظام جديد[١٣]، فإننا نستطيع أن ننظر بعين الاعتبار إلى تلك الآراء التي تنظر إلى الإسلام على أنه قام «كثورة» قوضت المجتمع الجاهلي وأحلت محله مجتمع الإسلام[١٤].

ونجاح النمط «الكاريزمي» في القيادة يعتمد على توافر ثلاثة متغيرات وهي: رسالة إنجازية تبشيرية، وصفات شخصية، ثم دافع وفرصة لنشر الدعوة[١٥]، وقيادة الرسول ـ كنبوغ يتفوق على النمط الكاريزمي ـ قد توافرت لها بالطبع هذه المتغيرات الثلاثة[١٦]، ولكن ما نود أن نلفت النظر إليه أن المتغيرات اللازمة لنجاح النمط الكاريزمي في القيادة باقية في الأمة الإسلامية ـ، حيث ما زالت تلك الأمة مدعوة لأداء رسالة إنجازية تبشيرية انطلاقا من كونها «خير أمة أخرجت للناس»[١٧]، فهي تضطلع بوظيفة حضارية تنطلق من مفهوم «الجهاد» من أجل قيادة «الإنسانية المعذبة لتلك الديانة المتميزة»[١٨]، وهي من ثم تنقصها الفرصة لتنطلق لنشر الدعوة من جديد، أما من حيث الصفات الشخصية فإننا نستطيع القول أنه إذا كانت «الكاريزما» تعبر عن خاصية للسلوك تعني أساساً امتلاك صفات قوية كمظهر للهبة الإلهية فإن الانسان المؤمن الذي يستطيع أن يرتفع بإيمانه إلى درجة تقربه من حب الله له، فإن هذا الحب يضفي عليه العديد من مظاهر الهبات الإلهية[١٩].

ولقد عبر الأدب العربي عن مفهوم «الكاريزما» في صورة أخرى اتخذت شكل «العبقريات» التي كتبها «العقاد» وكلمة «عبقرية» مشتقة من «عبقر» وهو موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن[٢٠]، إشارة إلى الصفات السحرية الخارقة التي يمتلكها العبقري الذي هو شخص «كاريزمي» في معنى قريب. ثم إن تراثنا الفكري يعرف أيضاً ذلك الحديث عن كرامات الأولياء[٢١]، ويقدم التراث الفكري الشيعي مثالاً أكثر وضوحاً لمحاولة بناء «كاريزما» تمثل البطولة والقداسة للإمام عليّ رضي الله عنه وتلك فقط مجرد أمثلة سقناها للدلالة على عدم بعد مدرك «الكاريزما» عن مجال الفكر الإسلامي لاسيما فيما يتعلق بظاهرة «القيادة».

وفي الواقع، إن ثمة تساؤلا يبرز ـ بصورة ملحة ـ ماهي علاقة ما أثير من نقاط ببعض قضايا الوجود السياسي والاجتماعي التي أشرنا إليها من قبل وهي الشرعية، المعارضة، بناء المؤسسات، الاصالة المعاصرة.

في الواقع، إن المفهوم الموسع «للكاريزما» يشير إلى حادث رمزي تكون إحدى صوره الاتصال الافتراضي «بالإله»، وهذا الاتصال القوي يحدث من خلال الوحي والإلهام ونفاذ البصيرة مع القوة الحيوية التي تغلف شخصاً حصل أو يعتقد أنه حصل على ذلك «الاتصال».

فهـذا الشخص هو شخص «كاريزمي»[٢٢]، وسلطته تكون سلطة كاريزمية تمييزاً لها عن النمطين الآخرين من أنماط الشرعية (التقليدية والعقلانية القانونية)، ونلاحظ بهذا الصدد عدة ملحوظات هامة:

أولها: بينما نجد الصورتين الأخريين للشرعية مؤسستين على الاعتقاد والإيمان بالنظام - ولذلك فهما منوطتان بالدور أكثر من الشخص - نجد أن السلطة الكاريزمية تعتمد على القدرة الخاصة لشخص معين لإثارة وحفظ الإيمان به وبرسالته التبشيرية كمصدر للسلطة[٢٣]، ولعلنا نستطيع أن نلحظ الارتباط بين تلك الملحوظة وبين ما نلاحظه من أن المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي لم تكن معنية «بالدور» بقدر عنايتها بالتصور الأمثل «للقيادة»، ذلك التصور المبني على فهمها هي لأصول ومباديء الإسلام، وبينما كانت الأصول والمباديء ثابتة وواحدة، نجد أن التصورات وطرق الفهم كانت متعددة ولهذا انطلقت جميع تصورات حركات المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي من النموذج الإسلامي للممارسة السياسية كما مثلته سنة الرسول الذي يجسد ويمثل مباديء القرآن. والرغبة في حفظ وصيانة الرسالة والسنة النبوية كمصدر للسلطة، جعلت صفات القيادة في الفكر الإسلامي تدور حول المؤهلات الكفيلة بأن تحفظ لذلك النظام شريعته الممثلة في كتابه المنزل وسنة رسوله.

وثانيها: وفيها نلاحظ أن إحدى الخصائص المميزة لهذا النمط القيادي هي تلك العلاقة الروحية المباشرة بين القائد وتابعيه، وهذا يقلل من فاعلية التكوينات الوسيطة[٢٤]، لعدم الحاجة إليهم، ذلك لأن علاقة القائد بتابعيه هي علاقة مباشرة فالتابعون ينظرون إلى قائدهم من خلال علاقة حميمة بينه وبين كل واحد منهم، وبالمثل هو يستقبل مباشرة مظاهر التأييد والثقة من تابعيه[٢٥].

وتلك الملحوظة تصير جديرة بالاعتبار عند بحث بعض الآراء التي تدور حول ضعف الإطار التأسيسي في الفكر السياسي الإسلامي، والقول بخلوه من صور واضحة لمؤسسات الحكم وكيفية تكـوينهـا وعملهـا[٢٦]، وعدم اعترافه بتكوينات وسيطة مثل «الأحزاب»[٢٧] فالعلاقة بين الحاكم والمحكومين تعتمد على التأييد المباشر الذي يتلقاه الحاكم من المحكومين عن طريق «البيعة» التي تصير التزاماً شخصياً بالولاء[٢٨]، في عنق صاحبه لايمكن التحلل منه طالما أن المبايع يحافظ على الصفات التي أهلته لمنصب الحكم، ومن ناحية أخرى فإن الحاكم يرسل أوامره ويعلن تصوراته بشكل مباشر، والرجوع إلى خطب الخلفاء والحكام في التاريخ الإسلامي في بداية توليهم السلطة أو عند إعلان أوامرهم وتصوراتهم تعد مصدراً هاماً لدراسة هذه الناحية[٢٩].

وثالثها: إنه في هذا النمط القيادي يصبح القائد هو مصدر الشرعية[٣٠] ويصبح التطابق بينه وبين النظام يكاد يكون تاماً بحيث إن أي معارضة تفسر على أنها نوع من الخيانة وفي

هذه الحالة تصير المعارضة مرادفاً للخيانة، ويتفق مع هذا النظر إلى وجوب التزام طاعة الرسول في كل ما ينزل به وحي، حيث تصير معارضة الرسول فيما يصدر فيه عن ربه بمثابة «الخيانة» التي تخرج فاعلها من الدين، والواقع أن جعل «المعارضة» هنا مرادفة «للخيانة» إنما ينبع من مبدأ «العصمة» التي للنبي وهو بصدد أدائه لرسالته[٣١]، ولذلك نجد أن النظرية الشيعية التي قاست الإمامة على النبوة وتبنت مبدأ «عصمة الأئمة» نظرت أيضا إلى معارضة الإمام كمرادف للخيانة حيث أنها تصير تحدياً لمصدر الشرعية الذي يمتلك صفات ومواهب غير عادية، ولقد ناقش فيبر هذا التحول من الصورة الأصلية «للكاريزما» المركزة في فرد بقوة إلى أشكال أخرى مثل «كاريزما القرابة» أو «النسب» و «الكاريزما الوراثية»[٣٢].

إلا أن الأمر يختلف عند الانتقال إلى مرحلة ما بعد القيادة الكاريزمية، مثلما يختلف في مرحلة ما بعد قيادة الرسول التي انفردت بالوحي والعصمة.

ثانيا: أزمة الخلافة وحلولها:

تشبه مرحلة خلافة «قيادة الرسول» والأزمة التي نتجت عن اختفائها، ما تناوله «فيبر» في مرحلة خلافة «الكاريزما» والتي تمثل أزمة عبّر عنها «بأزمة التعاقب أو الخلافة» Crisis of Succcession [٣٣]، وذلك انطلاقا مما وصل إليه من أن وجود القيادة الكاريزمية لايساعد على تحقيق تعاقب واستخلاف للنظام، ففي حالة غيابها فإن الأزمة التي تنتج عن ذلك قد تقود إلى «كارثة»[٣٤] بمعنى آخر إن وجودها قد يؤخر أو يعطل النمط التأسيسي الإستمراري للسلطة لأن اعتماد العلاقة بين القائد وتابعيه على الآتصال المباشر لايجعل الفرصلة تهيأ لإنشاء مؤسسات أو جماعات وسيطة.

ويكاد يكون وصف «فيبر» لأزمة التعاقب والخلافة، وتكاد تكون حلوله التي وضعها لتلك الأزمة تعكس وتشابه إلى حد كبير الحلول التي قدمتها الخبرة التاريخية الإسلامية لحل أزمة الرسول، ولا نستبعد أن يكون «فيبر» قد تأثر بالخبرة التاريخية الإسلامية وهو بصدد وضعه لهذه الحلول، ولا سيما وأن فيبر كان مهتما بدراسة الأديان وقد اهتم أيضاً بدراسة الدين الإسلامي وله دراسات في هذا الشأن[٣٥].

ويعبر «فيبر» من خلال أزمة الخلافة عن ميله العام في رؤية العالم الحديث على أنه يخلو من أي اعتقاد في إمكانية وجود الكاريزما الحقيقة أو الأصيلة[٣٦] ومثل هذه الرؤية تلتقي أيضاً مع ما يراه الفكر الإسلامي من انقطاع النبوة بعد محمد ـ ﷺ ـ، الأمر الذي يعني عدم احتمال تكرار مثل «قيادة الرسول ـ ﷺ ـ التي تميّزت بالوحي والعصمة، فالربط بين النمط الكاريزمي والنبوة الدينية ـ عند فيبر ـ يعتمد على تلك الصفات الشخصية المكثفة وتلك النزعة الكاريزمي والنبوة الدينية ـ عند فيبر ـ يعتمد على تلك الصفات الشخصية المكثفة وتلك النزعة الكاريزمية المكثفة ينظر إليها فيبر من شقين[٣٧]:

الأول: أن صاحب الحاسة الكاريزمية القوية يصبح هو صاحب الرؤية للنظام الجديد وهذا هو مكان النبي ودوره التشريعي بما يتلقاه من وحي السماء.

الثاني: أن هؤلاء الذين تتصف حاستهم الكاريزمية بعدم القوة ولكنها مع ذلك تسمح لهم بالاستجابة لتلك الرؤية ـ يصبحون جماعة متميزة بفضل صحبتهم وملازمتهم للقيادة. ويعد اللجوء إلى هذه الجماعة بمثابة الحل الأول لأزمة الخلافة، حيث يمكن التماس «الكاريزما» عندهم. كما ناقش «ادوارد شيلز» إمكانية وجود «الكاريزما» في صورة قوية مكثفة، وإمكانية وجودها بصورة منتشرة وأقل قوة حيث إن انتشار الكاريزما يبدو كضرورة حتمية ذلك أن القائد الكاريزمي مهما طالت حياته فإنه سيأتي الوقت الذي يحتاج فيه إلى من يخلفه[٣٨].

وهنا نجد أنه لابد من الإشارة إلى ذلك التمييز الذي لاحظه بندكس بين: القيادة Leadership والسلطة Authority فيما يتعلق بالخاصية الكاريزمية[٣٩] فالقيادة الكاريزمية تعتمد على المواهب الشخصية للقائد، أما في حالة السلطة الكاريزمية فإن العلاقة تنقطع عن هذه السمة الشخصية، وطالما أن شريعة السلطة أمر معترف به ـ من جانب المؤمن بها ـ فإن الخاضعين لها يطيعون الأوامر بغض النظر عن الشخص الذي يقوم بإصدارها، أي أن الخاصية الكاريزمية المتلصقة بالسلطة تجعل شخص القائد مجرد رمز[٤٠]، وبهذا يتضح أن نظرة فيبر «للقيادة الكاريزمية» على أنها مستوى خاص من التحليل[٤١]، وتلتقي مع نظرة الفكر الإسلامي لقيادة الرسول على أنها نمط فريد لن يتكرر ومن ثم فإن ما تتمتع به هذه القيادة من «عصمة» وهبات إلهية تجعلها بمنأى عن مبدأ «المعارضة» يصبح في حالة السلطة الكاريزمية أمراً لصيقاً بالسلطة وليس بشخص من يمثلها حيث «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

ولمزيد من الإيضاح حول الاختلاف بين مفهوم «القيادة» و «السلطة» ـ فيما يتعلق بالخاصية الكاريزمية ـ نوضح أن القائد يستطيع فقط أن يطلب أو يسأل، أما السلطة فتستطيع أن تأمر وأن تفرض (أي تشرع)[٤٢]، وفي الواقع إن هذا المفهوم «للسلطة» يلتقي مع ما يتردد في بعض كتب الفكر الإسلامي عن مفهوم «الحاكمية» الإلهية والتي ليس من وسيلة لتبليغ أوامرها ونواهيها إلى الإنسان سوى «رسول الله» فهو وحده الذي يوصل أحكام الله وشرائعه إلى البشر، وهو الذي قام بشرحها وتفسيرها بقوله وفعله، فيكون «الرسول» إذن هو «ممثل حاكمية الله القانونية في حياة البشر»[٤٣]، وعلى هذا فطاعته هي عين طاعة الله، والله نفسه يأمر بقبول أوامر الرسول ونواهيه والتسليم بها دون نقاش، ودون معارضة، من هنا تتضح «منزلة الرسول» في أنه المبلغ عن الإرادة الإلهية كل أوامرها ونواهيها، ويصير حكم الله ورسوله، هو القانون الأعلى الذي لايملك المؤمنون إزاءه سوى اختيار سبيل الطاعة، ولا يكون «للمعارضة» في مواجهة القانون الموحي أي مجال على الإطلاق، يقول سبحانه وتعالى:

«ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا»(٤٤).

هذه السلطة والقانون الأعلى المتمثل في «حكم الله والرسول» يصبح من يمثلها في حالة خلافة قيادة الرسول هو «رمز» لها، طاعته واجبة طالما يأمر بما أمرت به، ومعارضته تكون واجبة طالما انحرف عما تأمر به وتنهى عنه هذه السلطة العليا، وقد ظهر هذا المعنى واضحاً في خطبة أبي بكر أول الخلفاء الراشدين حيث يقول «أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم»(٤٥)، حيث يصير هناك التزام بعدم الطاعة ـ أي التزام بالرفض والمعارضة ـ في حالة التناقض مع السلطة العليا صاحبة الهيمنة التشريعية في الإسلام.

وبالنظر إلى الحلول التي عالج بها المجتمع الاسلامي الأول قضية «خلافة الرسول» نجد أنها تلتقي في كثير من الأحيان مع ما وضعه فيبر من حلول لأزمة خلافة الكاريزما(٤٦) وكأنه كان يستلهم وقائع الخبرة التاريخية الاسلامية ـ والواقع أن هذه الملحوظة تبدو جديرة بالاهتمام بالنظر إلى قصد فيبر في تمييز الصفات المميزة للمجتمع السياسي والاجتماعي بالانتقال إلى النمط الذي يتميز بالاعتقاد في القيم الفائقة وتجسيدها في الأفراد إلى مرحلة المؤسسات كأحد مظاهر الترشيد ولقد أكمل ادوارد شيلز هذه المحاولة عن طريق محاولته عزو بعض الدلائل العقلانية الرشيدة لمدرك الكاريزما بل ومحاولته أن يضيف إليها محتوى «ديمقراطياً»(٤٧).

وتبدو هذه الملاحظات جديرة بالبحث عند معالجة موقف «القيادة» من قضايا الحكم والسياسة في المجتمعات الإسلامية وهي تحاول بناء دولتها على أسس عصرية وفي نفس الوقت مستمدة من مباديء وتعاليم الإسلام(٤٨)، وهذا هو جوهر الاتجاه الرامي إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة كأساس تبنى عليه نهضة المجتمع الإسلامي في العصر الحديث، وتفصيل ذلك: أن معالجة الخبرة التاريخية الإسلامية لخلافة «قيادة الرسول» اتسمت بتنوع الأساليب(٤٩)، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنها اعتمدت على عنصر ليس له صفة الدوام والإستمرار وهو الاعتماد على جماعة الصحابة القريبين من الرسول وهم الذين كونوا أول جماعة «للحل والعقد» وهم كما سبق وذكرنا مثلوا الحل الأول لأزمة الخلافة. ولقد تنوعت الأساليب التي اتخذتها هذه الجماعة لحل هذه الأزمة ـ وبالنظر إلى ما حدث في «سقيفة بني ساعدة»(٥٠) بين المهاجرين والأنصار للتباحث في شأن «الخلافة» نجد أن الاتجاه العام كان يشير إلى وجوب تعيين خليفة ذي صفات معينة، وعلى هذا الأساس أخذ كل فريق من الفريقين: «المهاجرين والأنصار» يعدد مناقبه ومؤهلاته التي تخول له استحقاقه للخلافة، وجاء اختيار أبي بكر ترجيحاً لكفة المهاجرين مما جعلهم يشكلون ما يشبه هيئة أطلق عليها البعض اسم «هيئة المهاجرين الأول» وهي كانت «أشبه بحكومة الرسول التي استأثرت بمنصب الخليفة

ترشحه من بين أعضائها وتختاره هي، ثم يبايعه بعد ذلك ويصدق على قرارها من حضر المدينة من المهاجرين والأنصار[٥١]. وكان اختيار أبي بكر الصديق - بما يمتلكه من صفات جعلت له أرجحية معينة دعمها عمر باندفاعه إلى مبايعته - شبيها بما ذكره فيبر من أن أحد حلول أزمة خلافة الكاريزما يكون عن طريق اتجاه التابعين والمحيطين بالقائد الكاريزمي إلى الاعتقاد بوجوب اختيار خليفة ذي صفات معينة وهنا يكون التصديق على هذا الاختيار من قبل الحماس العام أمراً مطلوباً للتعبير عن الرغبة في صيانة وحفظ هذه الخلافة[٥٢].

ولقد عبر الفكر الإسلامي عن ذلك الموقف بالبيعة الخاصة التي تليها البيعة العامة من قبل جمهور المسلمين[٥٣]، ويعلق فيبر على هذه الطريقة بأنها ليست انتخابا بالمعنى المعروف في المفهوم الحديث للمصطلح إلا أنه يرى أن اختيار خليفة للقائد من قبل الجماعة القريبين منه وتأكيد هذا الاختيار من قبل الحماس العام يمثل بداية النظام التمثيلي، فحينما يحدث أن تتبنى المجتمعات ممارسة اختيار قائد بدلا من الاعتماد على ظهور قائد كاريزمي في المعنى الأصلي لهذه الكلمة، فإن هذه الممارسة تصبح مرتبطة بقواعد انتخابية والتي تصبح شرعية عن طريق تقاليد اجتماعية أو مباديء قانونية[٥٤]، ويعلق فيبر على هذا بأن اختيار جماعة التابعين للخليفة يصبح امتيازا لهم[٥٥]، بينما يصبح قبول هذا الاختيار من قبل الحماس العام هو بمثابة خلفية أو أرضية.

وتدريجياً فإن الأشكال الأخرى للانتخاب تصبح بمثابة توسيع وتطوير تدريجي للمبدأ القائل بأن الحاكم الأعلى لابد من حصوله على التأييد الشعبي[٥٦]، ولهذا الرأي أهميته لاسيما بالنظر إلى نظم الحكم التمثيلية النيابية ومدى ما يمكن أن تقدمه من خبرة تأسيسية لنظام في الحكم يتمشى مع ما وضعه الاسلام من مباديء[٥٧]، وهناك الطريقة الثانية التي عالج بها الفكر الإسلامي قضية «الخلافة» وهي أن يقوم القائد بتعين من يخلفه مثلما فعل أبو بكر باختياره لعمر، وموافقة المسلمين على هذا الإختيار[٥٨]، وهنا يصبح القائد هو مصدر الشرعية حيث إن اختياره لمن يخلفه يعطي له الشرعية التي تجعله مقبولاً من جمهور المحكومين إلا أنه يجب التنبيه إلى أن هذا التعيين هو بمثابة ترشيح لا يثبت إلا بإقرار الأمة وموافقتها عليه، ثم الطريقة الثالثة وهي ما اتبعه عمر من تحديد لعدد معين يتم من بينهم اختيار الخليفة ثم يطرح هذا الاختيار للحصول على التأييد العام[٥٩]

وجنبا إلى جنب مع هذا كانت تجري في بطء عملية إحلال قيادة الرسول بقيادة جديدة للإمام علي بن ابي طالب، واتخذ هذا الاحلال صورة متطرفة عند بعض فرق الشيعة التي غالت في عقائدها وتصوراتها بالنسبة للإمام علي[٦٠] إلا أن الفكر الشيعي في عمومه ظل متوافقا مع نفسه منذ البداية بحيث استطاع أن يكون فكراً واضحاً وصريحاً يعتمد على الحق المستند إلى الانتماء إلى البيت النبوي، وقد كان هذا الانتماء هو أكثر ما يدعم مركز الإمام

علي «حيث إنه الوحيد الذي ينطبق عليه أنه من بيت الرسول.. وهي صفة أخص من القرشية بل وأخص من الهاشمية أيضاً»[٦١] وقد تحدث «فيبر» أيضا عن هذه المحاولة لتأسيس كاريزما عائلية تنظر إلى «البيت» الذي انبثقت منه «الكاريزما» على أنه يمتلك صفات وهبات معينة توجد فقط في الأشخاص الذين يولدون من هذا البيت[٦٢]، ويلاحظ أن اعتقاد الفكر الشيعي في انحصار «الإمامة» في علي وبنيه، وأن من انتزعها منهم قد ارتكب خطأ جسيماً، يشابه تحليل فيبر الخاص بالتصاق القيادة الكاريزمية بشخص القائد وبذلك فإن محاولة إحلالها بقيادة جديدة تميل إلى إلصاق صفات معينة لهذه القيادة الجديدة بحيث إن هذه الصفات هي التي تمثل حقها في الخلافة وهي التي تجعل تأييدها واجبا على كل المحكومين، وانطلاقاً من ذلك فإن شخصاً واحدا فقط هو الذي ينظر إليه على أنه الحائز على الصفات التي تجعله الخليفة الحق وكل هؤلاء الذين لا يتحمسون له يرتكبون خطأ جسيماً[٦٣]، والواقع أن هذه الطرق السابقة تحتفظ بالعنصر الأساسي المميز للقيادة الكاريزمية عند «فيبر» والذي يميزها عن الأنماط الأخرى وهو: أن ممارسة السلطة تكون مرتبطة بشكل وثيق بشخص معين بالذات وما يمثله من صفات معينة[٦٤].

والواقع أن الاعتماد على تشخيص السلطة الراجع إلى ،مايتسم به هذا النمط القيادي من سمات لصيقة بشخص القائد يؤخر عملية تأسيس السلطة في شكل مؤسسات واضحة ذات أدوار وقواعد محددة، وأخذا في الاعتبار ما تمثله خلافة القيادة الكاريزمية من اتجاه نحو النظم التمثيلية، فإن دراسة نظم الحكومات التمثيلية البرلمانية والرئاسية تصير ذات أهمية ومعنى خاص حيث يمكن النظر إليها على أنها تمثل خبرة مؤسسية يمكن الملاءمة بينها وبين مباديء وقيم الإسلام، فإذا أخذنا في الاعتبار الطابع المميز للفكر الإسلامي في عصوره المختلفة في الأخذ بمبدأ التوفيق والاعتدال[٦٥] أمكننا النظر في هذه الخبرة المؤسسية من أجل بناء دولة إسلامية مؤسسية في العصر الحديث[٦٦] ذات مؤسسات لها أدوار وقواعد في الممارسة مما يكفل لها الثبات والإستمرار بدلا من الاعتماد على تشخيص السلطة ومن ثم ننمي الاتجاه نحو النمط العقلاني الرشيد المعتمد على القانون المستمد أساساً من مباديء وقيم الشريعة الإسلامية، وبمرور الزمن فإن مثل هذه المؤسسات سوف تكتسب شرعيتها.

والواقع أن البيئة السياسية والاجتماية في المجتمعات الإسلامية التي يعتبر معظمها إن لم يكن كلها مجتمعات تعاني من أزمات حادة تجعل منها بيئة خصبة وملائمة لظهور وانبثاق النمط الكاريزمي في القيادة، فلقد ساد الاقتناع بأن الظاهرة الكاريزمية ماهي إلا نتاج أزمات حادة حيث يقود الإحساس بحرمان أخلاقي أو نفسي شديد، الأفراد والجماعات إلى البحث والسعي وراء القيادة الفذة[٦٧]. هذا إضافة إلى أن المجتمعات الإسلامية وهي من المجتمعات النامية تمثل في العصر الحديث نموذجاً للنظم الانتقالية التي تمر بتغيير اجتماعي يسبب عدم الاستقرار

الذي ينتشر في حياتها السياسية، ويعد سلوك النخب السياسية من أهم المتغيرات التي تؤثر في الإستقرار، بل إنه أهمها خاصة وأنه يرتبط بالمشكلة المزدوجة للشرعية والضبط(٦٨).

فإذا أضفنا إلى ما سبق ذلك النقص في الاحترام للسلطة القانونية غير الشخصية المؤسسة على قواعد عقلانية رشيدة لارتباطها بالتراث الاستعماري الذي يمثل خلفية مرفوضة من الدول والمجتمعات التي عانت من الاستعمار، هذا إضافة إلى أن النظم التقليدية التي كانت قائمة قبل الاستعمار قد تمت بعثرتها وتشتتها على يد السلطات الإستعمارية، وبذلك فإنه لم يعد هناك قواعد مقبولة بصفة عامة لشرعية السلطة وللطريقة التي تمارس بها(٦٩)، ولعل هذا يفسر كثرة تعرض تلك المجتمعات للأزمات ولعدم الاستقرار السياسي(٧٠)، فغياب تلك القواعد يخلق الحاجة إلى القيادة التي يمكن أن تعمل كجسر بين الحاضر المرفوض أو المشوب بالشك وبين المستقبل غير المحدد، ومن ثم فإن مناخا من الشك وعدم القدرة على التنبؤ يشكل التربة الملائمة للبحث عن الكاريزما(٧١).

هنا تظهر الدعوة للعودة إلى الأصول وتبرز أساسا في صورة رفض التقاليد القائمة والتمرد عليها، ومعارضة النظام «العقلاني»(٧٢) الوضعي والاتجاه نحو «الشريعة» التي تمثل وحيا مقدسا لا تشوبه نقائص الوضعية القانونية، ولعل هذا مما يفسر به اتجاه المجتمعات الإسلامية ورغبتها في العودة إلى الشريعة كلما واجهتها أزمة، وذلك باعتبارها المنقذ الوحيد، ويعبر هذا الاتجاه عما أسماه ادوارد شيلز بأنه «محاولة استحضار ومناشدة كاريزما النظام المتفوق(٧٣)، والواقع أن الظاهرة الكاريزمية ظاهرة متقلبة ومتلونة وتأخذ أشكالاً وأدواراً مختلفة والمسافة التي تبعد بنا عن فهمها مازالت بعيدة جدا، ذلك أن وضع الإنسان في العالم ومقتضيات حياته الإجتماعية والمشاكل التي تواجهه والتي مثلت العقائد الدينية حلا لها في كثير من الحضارات تظل دائماً وأبداً تنتظر الحل(٧٤).

والحل يكمن في تكوين أو اكتشاف النظام، والنزعة الكاريزمية ماهي إلا أحد مخرجات الحاجة إلى النظام، ومن ثم فإن إيجاد وخلق النظام هو الذي يثير الاستجابة أو الحاسية الكاريزمية سواء كانت في شكل قانون إلهي أو قانون طبيعي أو قانون علمي، فمن ذلك المصدر تيقظ النزعة إلى الرهبة المقدسة والاحترام والتبجيل، تلك هي النزعة الكاريزمية، فالناس يحتاجون إلى نظام يستطيعون من خلاله أن يستقروا وأن يستمدوا الالتحام والتماسك والاستمرارية والعدالة(٧٥) ومن هنا فإن النظرة إلى «الإسلام» على أنه نظام حياة شامل(٧٦) تعد من أهم عوامل إثارة الحاسية الكاريزمية في المجتمعات الإسلامية.

ومن ثم فإن احتلال «القيادة» لمركز وثقل هام في الحياة السياسية الإسلامية ودوران الفكر السياسي الإسلامي حولها وانشغاله وعنايته بوضع الشروط والصفات التي ينبغي توافرها فيمن يتولى أي منصب قيادي: كل هذا يجعل مدرك «الكاريزما» قريبا من الحياة السياسية

لتلك المجتمعات، إذ أن «الكاريزما» تعني بالنسبة للقيادة بصفات خاصة شخصية لصيقة بشخص القائد كمظهر للهبة الإلهية وعبر مراحل التاريخ الإسلامي لم تنقطع محاولات خلق وظهور كاريزمات أقل حدة، وتركيزاً من «النبوة»(٧٧) ولكنها تتميز بنفس الطابع المميز للسلطة حيث يتم التركيز على الصفات الشخصية اللصيقة بشخص القائد، ولقد مثل العهد الراشدي صورة أخرى لتوزع الاحترام والتبجيل الذي كان مرتبطا بشخص الرسول في أشخاص الصحابة والخلفاء الذين تولوا منصب الخلافة في العهد الراشدي(٧٨) مع انفراد الفكر الشيعي بتضخيم شخصية الإمام علي.

وفي الواقع إن عهد الخلفاء الراشدين ـ بصفة خاصة عهد أبي بكر وعمر ـ يلتقي مع محاولة «ادوارد شيلز» عزو بعض الدلائل العقلانية الرشيدة لمدرك «الكاريزما» ولعل تعبير الفكر الإسلامي عن هذه الخلافة بلفظه «الراشدة» يعبر عن هذه الدلائل التي ظهرت واضحة في عهد عمر بن الخطاب الذي يفرد له في كتب الفقه والتاريخ الإسلامي عادة عناية خاصة للحديث عن اجتهاداته(٧٩) وعبقريته في مواجهة المستحدثات والمشاكل الجديدة التي واجهت الدولة.

نخلص من هذا العرض إلى أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع شديد الحساسية للنزعة الكاريزمية(٨٠)، سواء في صورتها المركزة المكثفة وهي التي عبرت عنها «قيادة الرسول» ﷺ، أو في صورتها الموزعة المنتشرة «كاريزما الشعب»(٨١)، وهذا الانتشار يرجع إلى النظر إلى الرسول على أنه «أسوة حسنة» ومن ثم فإن العمل على اتباع سنته وصيانتها هو أبلغ تعبير عن الرغبة في حفظ خصائص القيادة الفذة من أجل أن تظل باقية في الأمة. والرسول ﷺ، «موروث بأمته كلها»(٨٢)، «الأمة» بالمفهوم المستقل عن الزمان والمكان والمعبر عن «الوظيفة الحضارية»(٨٣) لتلك الأمة الوسط كخير أمة أخرجت للناس.

وبذلك يمكن القول بأنه إذا كان تطور المجتمع والفكر الإسلامي في مجال الحكم والسياسية لم يصل من قبل إلى مرحلة المؤسسات التي نعرفها في عصرنا الحديث فهذا في حد ذاته ليس قصوراً بقدر ما هو تعبير عن تأثير العصور المختلفة التي تطور خلالها هذا المجتمع وتفاعل معها ذلك الفكر، وأنه لا يوجد ما يمنع في عصرنا هذا من تبني سياسة من شأنها إقامة دولة المؤسسات الإسلامية التي تكتسب مؤسساتها شرعية مستمدة من تعامل العقل مع ما جاء من أسس ومباديء واردة بالشريعة وإعمال الفكر بالاجتهاد مستفيداً في ذلك من كافة إمكانيات العصر وخبرات الإنسانية حتى نستطيع أن نعيش في الدولة الإسلامية الأصيلة والمعاصرة في آن واحد.

الهوامش

(١) يقول الله تعالى ـ في موقف المكذبين بنبوة محمد: ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا، أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ «سورة الفرقان الآيتان ٧، ٨».

(٢) انظر تفاصيل حول ذلك الموضوع في: أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة، جـ١، ص ١٥٧ وانظر أيضاً: د. إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيق، القاهرة، إحياء الكتب العربية، ١٩٤٧، ص ٩٤.

(٣) من دراسات فيبر في الأديان انظر:

MAX WEBER, The Protestant Ethic and The Sprit of Compitalism, ANTHONY GIDDENS (ed.), London: The Bowering Press, 1978.
BRYAN S. TURNER,

وانظر أيضاً دراساته عن الإسلام في:
Waber and Islam: a critical Study, London and Boston Routledge & Kegen Paul LTD, 1974

(٤) القيادة الكاريزمية تعبير يشير إلى نوع القيادة التي تتمتع بولاء وحماس شعبي وجماهيري نتيجة الاعتقاد بامتلاكها لقدرات ومواهب غير عادية، وأصل التسمية هو كلمة «كاريزما Charisma» وهي «كلمة أصلها يوناني، ومعناها الأصلي هدية واستخدمت أصلاً بمعنى موهبة إلهية»، ولقد جاء في قاموس «وبستر» أن الكلمة قد استخدمت للإشارة إلى القوة الفائقة للعادة التي منحت للمسيح في إبراء وشفاء المرضى وهي من ثم تستخدم للإشارة «للنصراني» أو «المسيحي» الموهوب ـ بواسطة الروح المقدسة ـ القدرة على الاشفاء لصالح الكنيسة، ومن هذا الأصل استخدمت الكلمة للإشارة إلى نوع القيادة المتميزة بمواهب شخصية تشبه السحر، والتي تثير ولاء وحماساً شعبياً خاصاً، ويترجم البعض عبارة Chaismatic Leadership إلى القيادة أو الزعامة الملهمة، والواقع أن تلك الترجمة قد تكون موفقة في التعبير عن إحدى صور «الكاريزما» إلا أن فيبر قد استخدم اللفظة (الكاريزما) بمعنى موسع يضم كافة أوجه التعبير عن التفوق والنبوغ الذي يكون مظهراً للهبة الإلهية، ومن ثم فنحن نفضل أن نستخدم الكلمة (الكاريزما) كما هي دون ترجمة وهي ذات دلالة واضحة للمشتغلين بالعلوم السياسية والاجتماعية انظر:

Webster's Seventh New Collegiate Dictionary, U.S.A.: G. & C. Merriam Co., 1969, P. 140.

وانظر أيضا:

ANN RUTH WILLNER, «THE RISE & ROLE of Charismatic Leadership», The Annals, (March, 1965), Vol. 358. P. 78.

(٥) في الجزء الأكبر من كتابات «فيبر» كان يميل إلى عزل موضع الخاصية الكاريزمية لكي يراها على وجه الحصر أو القصر في أكثر صورها حدة وتركيزاً وقوة وشدة، وفي تأصيله للكاريزما كان حريصاً على إبراز عنصر القداسة والأصالة التي تكون واضحة بطريقة قوية وشديدة، ولقد التمس مثل هذا التأصيل في تحليلاته الخاصة بالكنيسة، والملكية، والعائلية، إلا أنه حتى في تلك المؤسسات كان يميل إلى الاعتقاد أن أنماطها الكاريزمية تفتقر إلى عنصر كاريزمي حقيقي وأصيل وأنها موجهة أساساً باعتبارات المصلحة لكي تضمن وتحفظ تعاقب وتوالي واستمرار واستقرار شرعيتها، ومن ثم فإنه اتجه إلى تلمس الكاريزما الحقيقية الأصلية، وتلك ليس ثمة موضع حقيقي لها إلا «النبوة» ونموذجها في القيادة. انظر:

EDWAED SHILLS, Charisma, Order, and Stutus,
American Sociological Review, XXX, No.2., (Aprill, 1965).P.202.

(٦) انظر:
REINHARD BENDIX, Max Weber: **An Intellectueal Portrait, New York:** (Rand. Co.,) 1962, PP. 83-84, P.90.

(٧) انظر:
MAX WEBER, **The Theory of Social and Ecomoni Organization,** trans A.M. Henderson and Telcott Parsons, New York: The Macmillan Co., 1947, PP. 358-359.

ويبدو قريبا من هذا التحليل ـ في بعض جوانبه ـ ما يذكره البعض من أن «حكومة الرسول كانت تعتمد إلى حد كبير على إيمان الناس بشخصية الرسول لأنه عليه الصلاة والسلام ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾ سورة النجم ٣، ٤)، انظر: د. محمد الصادق عفيفي **المجتمع الاسلامي وأصول الحكم ـ القاهرة** دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، ص ٤٩. وبهذا يتضح مدى الارتباط بين الإيمان بالمواهب الشخصية للقائد وبين فاعلية النمط الكاريزمي في القيادة.

(٨) انظر **ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية**، بولاق المطبعة الأميرية، ١٩٣٠، جـ١، ص ١٨، ويورد ابن حزم في أصل كلمة «نبوة» أن هذه اللفظة، مأخوذة من الانباء وهو الأعلام فمن أعلمه الله عز وجل بما لايكون، قبل أن يكون، أو أوحى إليه، فنبأ له بأمر ما، فهو نبي بلا شك، وليس من هذا الباب الإلهام الذي هو طبيعة كقول الله تعالى ﴿وأوحي ربك إلى النحل﴾، ولا من باب الظن والتوهم، الذي لا يقطع بحقيقته إلا مجنون، ولا من باب الكهانة التي هي من استراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب، ولا من باب النجوم.. ولا من باب الرؤيا التي لايدري أصدقت أم كذبت، بل الوحي الذي هو النبوة قصد من الله تعالى إلى إعلام من يوحى إليه بما يعلمه به، ويكون عند الوحي به إليه حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة «انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصر، مطبعة التمدن، ١٣٢١، جـ ٥، ص ١٧، وانظر أيضاً تحليل ابن خلدون عن النبوة في: ابن خلدون، المقدمة (ط. لجنة البيان العربي)، جـ١، ص ص ٣٤٥-٣٦٩.

(٩) Ideal Tybe

(١٠) انظر: د. السيد محمد الحسيني ومحمد علي وآخرين «ماكس فيبر»، المجلة الاجتماعية القومية، العدد الثاني ـ المجلد الرابع، مايو ١٩٦٧، ص ١٥٠.

(١١) انظر:
S.N.EISENSTADT, **MAX Weber: On Charisma and Institution Building,** Chicago: University of Chicago Press, 1968, P.22.

وانظر أيضا:
LLSE DRONBERGER, **The Political Througth of Max Weber: In Quest of Statemanship,** New Yourk: John Wiley & Sons, 1971. P.26.

(١٢) يروى في ذلك أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وهو ما يعبر عنه «بغربة الدين في أوله وآخره، ويروى في ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء» (رواه مسلم في كتاب الإيمان).

(١٣) انظر:

H.H.GERTH and WRIGHT MILLS, **Form Max Weber:** Essays in Sociology, New York: The Macmillan Co. 1946, P. 78-79.

ويلاحظ أن الطبيعة الثورية للكاريزما لا تنفي احتمال قبولها لبعض التقاليد والعادات السائدة: انظر: S.N. EL SENSTADT, OP. Cit., P.22. ولعل هذا يوضح كيف أن «ثورة الإسلام» قد احتفظت ببعض مقومات المجتمع العربي قبل الإسلام.

(١٤) انظر: د. محمد عمارة، **الإسلام والثورة**، القاهرة: دار الثقافة الجديدة، سلسلة قضايا إسلامية (٣)، إبريل ١٩٧٩، ص ١٩، ٢٨ وما بعدها، وانظر أيضاً: د. حسن حنفي، ماذا يعني اليسار الإسلامي، في: حسن حنفي (جمع)، اليسار الإسلامي: كتابات في **النهضة الإسلامية**، العدد (١)، القاهرة: **المركز العربي للبحوث والنشر**، يناير ١٩٨١، ص ٣٨.

(١٥) انظر: H.H.GERTH and C. WRIGHT MILLS, OP. Cit., P. 79.

(١٦) بعث الرسول ـ ﷺ ـ برسالة سماوية ليبشر وينذر وقد توافرت له الفرصة ليدعو ولينشر دعوته حتى أتم رسالته، أما من حيث الصفات الشخصية فعلى الرغم من تأكيد القرآن الكريم والرسول نفسه للصفة البشرية العادية له، إلا أن هناك حوادث في السيرة النبوية تدل على صفات فائقة للعادة كمظهر للهبة الإلهية ومنها: حادث شق الصدر، حادث الإسراء والمعراج، حادث الهجرة وخروجه على المجتمعين لقتله وعدم رؤيتهم له، إخباره بالطعام المسموم، (يرجع في تفاصيل هذه الحوادث إلى كتب السيرة النبوية).

(١٧) تنص الآية الكريمة: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (آل عمران ١١٠)وبذلك يتضح أن معيار تكريم هذه الأمة كخير أمة هو التزامها بالإيمان بالله وقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١٨) انظر: د. حامد ربيع، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، القاهرة: دار الشعب، ١٩٨٠، جـ ١، ص ٢٠٨

(١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه رواه البخاري، انظر نصه وشرحه وأمثلة أخرى في النووي، **رياض الصالحين**، المدينة المنورة، المكتبة العلمية (د. ت)، ص ٥٦.

(٢٠) انظر: الرازي، **مختار الصحاح** بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، سبتمبر ١٩٧٩، ص ٤٠٩.

(٢١) انظر: د. زكي نجيب محمود، **المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**، القاهرة: دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٧٨، ص ٤٠٠ ـ ٤٠٨.

(٢٢) هناك تفاصيل عن تصور مماثل في فكرة «**الإنسان الكامل في الإسلام**» انظره في: د. عبدالرحمن بدوي، «**الإنسان الكامل في الإسلام**» ، الكويت، وكالة المطبوعات، الطبعة الثانية، ١٩٧٦، ص ١٤٧.

(٢٣) انظر:

Ann RUTH WILLNER, **Charismatic Political Leadership,** Princeton University: Center of International Studies, (May, 1968), P.2.

(٢٤) انظر:

ANN RUTH SILLNER, **The Rise and Role of Chairsmatic Leadership, OP. Cit, PP. 1-19.**

(٢٥) Ibid., P. 10.

(٢٦) انظر: د. حامد ربيع، «**الإسلام والقوى الدولية**»، دار الموقف العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، ص ١٤٧، حيث يقول «بينما نجد التراث الاسلامي القرآني قدم لنا نظاما كاملا للقيم، لم تستطع جميع الخبرات اللاحقة لفترة حكم الرسول سواء كانت فكرية أم واقعية أن ترتفع إلى مستوى نظام القيم لبناء نموذج مقنن واضح ومحدد المقاطع لمفهوم الممارسة». والواقع أن هذه الآراء ينبغي أن ينظر إليها بشيء من التحديد حتى لا يظن أن لها صفة العموم، وذلك أن التراث السياسي الاسلامي قد قدم لنا في مراحل متعددة محاولات تأسيسية تتمثل في وضعه نظاماً وشرائط ومواصفات لعدد من وظائف الحياة السياسية، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: نظام الوزارة بفرعيها: وزارة التنفيذ ووزارة التفويض، أيضا نظام المظالم، ونظام الحسبة، ونظام القضاء ثم وقبل كل ذلك نظام الخلافة وشروطها وكيفية انعقادها وأسلوب ممارستها أما ما يذكر عن عدم ارتفاع أي خبرة تاريخية اسلامية إلى مستوى نظام القيم باستثناء عهد الرسول وعدم وضع نموذج مقنن للممارسة السياسية، فإنه ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أن الخبرات التاريخية الاسلامية هي وليدة عصورها، هذا فضلا عن أنه ـ في تصور الباحثة ـ لا يوجد نموذج مقنن للممارسة ـ باستثناء عصر الرسول ـ يصح أن نقول أنه دون غيره يجسد مبادىء وقيم الاسلام فإن كل النماذج إنما تمثل محاولات واقترابات من تلك المبادىء والقيم، والاقتصار على نموذج واحد يعني جمود الفكر حول نمط معين قد لايظل صالحا في مراحل تاريخية أخرى للنظر إليه على أنه «نموذجي»، ومن ثم فإن اعتبار الآراء الموجهة لموقف الفكر الإسلامي من عملية بناء مؤسسات الحكم يجب أن تؤخذ لا بإطلاق الأحكام التعميمية ولكن بتوضيح موقف كل خبرة تاريخية مع عدم إغفال بعض المحاولات التي لها صفة التأسيس والتي ذكرناها من قبل.

(٢٧) انظر: د. مصطفى كمال وصفي، **مصنفة النظم الإسلامية**، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٩٧٧، ص ١١٨.

(٢٨) المرجع السابق، ص ٢١٧.

(٢٩) انظر: د. حامد ربيع، سلوك المالك، مرجع سابق، جـ١، ص ١٠١، ١٣٢.

(٣٠) انظر BENDIX, OP. Cit., P. 306.

(٣١) انظر في عصمة الأنبياء: ابن خلدون المقدمة (ط. لجنة البيان العربي)، مرجع سابق، جـ١، ص ٣٥٢.

(٣٢) ANN RUTH WILLENER OP. Cit., P. 306

(٣٣) انظر:

JOHN P. ENTELIS, «Nasser's EGYPT: The Failure of Charismatic Lesdership» ORBIS (Book Reviws), Vol. XIII; Summer, 1974, P. 453.

(٣٤) عبر أبو بكر ابن العربي عن هذا الشعور بالكارثة التي كان يمكن أن تنتج بعد وفاة النبي بأن أسماها «قاصمة» وأسمى حلها «بالعاصمة» وذلك في كتابه «العواصم من القواصم» وتتوالى أمثال تلك الـ «القواصم» التي يشرح حلها في العواصم»، انظر: القاضي أبو بكر ابن العربي، **العواصم من القواصم** تحقيق: محب الدين الخطيب، مصر: المطبعة السلفية، الطبعة الخامسة، ١٣٩٩ هـ.

(٣٥) انظر: TURNER, **Weber and Islam,** OP. Cit,. P., 234.

(٣٦) انظر: EDWARD SHILLS, **Carisma, Order, and Status, OP. Cit., P.202.**

(٣٧) Ibid., P.306

(٣٨) Ibid., P.202

(٣٩) يذكر بندكس ـ في شرحه لفكر ماكس فيبر ـ أن التمييز بين «القيادة» و «السلطة» عند فيبر، كان متضمنا في تحليله ولكنه لم يكن واضحاً في مصطلحاته، وبهذا الشكل، يصل «بندكس» إلى تقسيم ثلاثي لظاهرة القوة Power عند فيبر: القوة القائمة على ما يسميه كوكبة أو تجميع المصالح، على سبيل المثال: كما في السوق أو جماعات المكانة ثم القوة القائمة على السلطة المنشأة Established autority على سبيل المثال:

السلطة القانونية والسلطة التقليدية والسلطة الكاريزمية، ثم أخيرا القوة القائمة على «القيادة» بمعنى الصفات الفائقة للعادة لشخص ما واعتراف التابعين له بهذه الصفات وهذا هو موضع القيادة، الكاريزمية كمستوى خاص من التحليل، انظر:
VENCIX, OP. Cit., P. 298.

(٤٠) انظر: Ibid., P. 298.
ويلاحظ أنه من اللحظة الأولى لوفاة الرسول الكريم، وقد استقر هذا المعنى في الفكر الإسلامي وقد ظهر هذا واضحاً فيما قاله أبو بكر - عند الجزع الذي أصاب الناس بعد وفاة الرسول: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت»، وتلا قوله تعالى: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين» (آل عمران: ١٤٤). انظر الواقعة وروايتها وقول أبي بكر الصديق في: أبي بكر ابن العربي، **العواصم من القواصم**، مرجع سابق، ص ٤٢، ٤٣.

(٤١) انظر BENDIX, OP. Cit., P. 299.

(٤٢) انظر Ibid. P. 289.

(٤٣) المودودي، **الخلافة والملك** الكويت، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٩٧٨، ص ١٧.

(٤٤) سورة النساء آية (١١٥).

(٤٥) انظر نص الخطبة في: ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، القاهرة: مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٩، جـ، ص ١٦.

(٤٦) طرح فيبر عدة حلول ممكنة لأزمة الخلافة جميعها تكاد تعكس ما قدمته الخبرة التاريخية الإسلامية بشأن هذه الخلافة، فمثلا بالنسبة للحل الذي طرحه بالحكم باسم القائد الكاريزمي على أساس أن من يخلفه باسمه فإننا نلاحظ أن إطلاق لقب «خليفة رسول الله» على أول قيادة للمسلمين بعد موت النبي تعكس بوضوح وجهة النظر هذه، وكل خليفة من الخلفاء الراشدين كان يبايع على الحكم بسنة رسول الله، ثم حل آخر طرحه فيبر تمثل في أن يعين المساعدون المحيطون بالقيادة الكاريزمية خليفة له ويجعلون الموافقة النهائية عليه للشعب، وهذا أيضاً عكسته التجربة الإسلامية في اختيار خليفة لعمر بن الخطاب حيث أجمع باقي العشرة المبشرين بالجنة باختيارهم على الأمة لتقره، أما الحلان الآخران اللذان وضعهما فيبر في أن يعين القائد بنفسه خليفة له، أو في تأسيس سلالة حاكمة على أساس أن الكاريزما وراثية، فإنهما يظهران في التراث الفكري الشيعي في الإمامة وذلك بالادعاء بنص إلهي على إمامة علي وحصر الإمامة في نسله من بعده، ثم هناك حلان آخران تمثلا في محاولة البحث عن قائد كاريزمي جديد أو في اختيار قائد جديد اعتمادا على أن الكاريزما ممكنة أن تنتقل أو ربما أنها تخلق في شخص جديد، وعبر التاريخ الإسلامي لم تنقطع محاولات بناء كاريزمات متعددة تمثل كيف توجد البيئة الخصبة لنمو وظهور الزعامة الكاريزمية، انظر في حلول أزمة الخلافة عند فيبر JOHN P. ENTELIS, OP. Cit., P. 453.

(٤٧) انظر: SHILLS, **«Charisma, Order and Status»**, **OP. Cit., P.202.**

(٤٨) انظر مزيدا من التحليل والتفصيل في: د. محمود حلمي، نظام الحكم الإسلامي مقارنا بالنظم المعاصرة، (لا. ت)، الطبعة السادسة ١٩٨١. ص ٣٦٨-٤٠٨.

(٤٩) انظر المرجع السابق. ص ٦٦-٨٩، وانظر أيضا: د. عبدالحميد متولي، مباديء نظام الحكم في الإسلام، القاهرة: دار المعارف، ال طبعة الأولى ١٩٦٦، ص ٦٠٨.

(٥٠) «سقيفة بني ساعدة» هي المكان الذي دارت به المناقشات بين الأنصار والمهاجرين بشأن خلافة الرسول. والذي جاء ذكره وذكر ما دار فيه في معظم الكتب التي أرخت لتلك الفترة، انظر على سبيل المثال: ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، مرجع سابق جـ١، ص ٤-٨.

(٥١) د. محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٩، ص ٦٠.

(٥٢) انظر: BENDIX, P. Cit,. P. 305.

(٥٣) انظر في أحكام البيعة: د. مصطفى كمال وصفي، مرجع سابق، ص ٢١٣-٢١٩.

(٥٤) انظر: BENDIX, P. Cit,. P. 307.

(٥٥) يعبر التراث الفكري الإسلامي عن هذا الوضع في أكثر من مناسبة ، ففي بيعة السقيفة اعتبر رأي المهاجرين والأنصار معبراً وممثلا لرأي المسلمين كلهم، أيضاً عندما أشار الحسن بن علي، على أبيه بعد مقتل عثمان أن ينتظر طاعة جميع الناس في بلاد الخلافة رد عليه: إن البيعة لا تكون إلا لمن حضر الحرمين من المهاجرين والأنصار فإذا رضوا أو سلموا وجب على جميع الناس الرضا والتسليم، أيضا يذكر في ذلك قول أهل مصر لأهل المدينة في المناقشات التي دارت حول المرشح للخلافة بعد مقتل عثمان: أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الإمامة وأمركم جائز على الأمة فانظروا رجلاً تنصبونه ونحن لكم تبع»، انظر هادي العلوي، في السياسة الإسلامية: الفكر والممارسة، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى، ١٩٧٤، ص ٣٨، ٣٩.

(٥٦) انظر: BENDIX, OP. Cit., P. 307

(٥٧) انظر: محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، بيروت: دار العلم للملايين الطبعة الأولى، ١٩٥٧، ص ٤٣-٩٣، وانظر أيضاً: د. محمود حلمي، نظام الحكم الإسلامي: مقارنا بالنظم المعاصرة، مرجع سابق، ص ٣٦٨-٤٠٨.

(٥٨) انظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ١، مرجع سابق، ص ١٨.

(٥٩) المرجع السابق، ج ١ ص ٢٣.

(٦٠) اأنظر: أبا زهرة، المذاهب الإسلامية، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها، (د. ت)، ص ٥٩.

(٦١) د. محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، مرجع سابق، ص ٨٨.

(٦٢) انظر: BENDIX, OP. Cit., P. 308

(٦٣) انظر: Ibid., P. 305

(٦٤) انظر: Ibid., P. 306

(٦٥) انظر: د. حامد ربيع، سلوك المالك، مرجع سابق، جـ١ ص ١٤٩ وما بعدها.

(٦٦) انظر: محمد أسد، منهاج الحكم في الإسلام، مرجع سابق، ص ٤٣-٩٣، وانظر أيضاً: د. محمود حلمي، نظام الحكم الإسلامي مقارناً بالنظم المعاصرة، مرجع سابق، ص ٣٦٨-٤٠٨.

(٦٧) انظر: ANN RUTH WILLNER, OP. Cit., P.3

(٦٨) انظر: JOHN P. ENTELIS, OP. Cit., P. 452

(٦٩) انظر: ANN RUTH WILLNER, OP. Cit., P. 19

(٧٠) انظر:

GABLE FINKLE, **OPlitical development and Social Change** New York: John Wiley, 1968, P. 83-96.

(٧١) انظر: ANN RUTH WILLNER, OP. Cit., P. 19

(٧٢) انظر: H. GERTH and C. WRICHT MILLS, OP CIT., 78-79

(٧٣) انظر: SHILLS, «Charisma, Order and status», Op. Cit., P. 211-212.

(٧٤) انظر مزيداً من التحليل في: د. لويس مليكة، سيكولوجية الجماعات والقيادة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣، جـ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٦.

(٧٥) انظر: SHILLS, «Charisma, Order and status», Op. Cit., P. 203

(٧٦) انظر: د. علي محمد جريشة، دين ودولة، الكويت: دار البحوث العلمية الطبعة الأولى، ١٩٧٩، وهذا المعنى تؤكده العديد من المؤلفات الأخرى.

(٧٧) تعد «عبقريات» العقاد أدل تعبير على شيوع هذا المفهوم بالنسبة للخلفاء الأربعة وبعض الصحابة، هذا إضافة إلى تميز بعض الصحابة بألقاب معينة إشارة إلى صفات لهم مثل تسمية أبي بكر «بالصديق»، وعمر «بالفاروق» وقول الرسول عنه «إن الشيطان يخاف من عمر» وقوله عن عثمان «إنه رجل تستحي منه الملائكة»، كذلك اللقب الذي أطلق على خالد بن الوليد وهو «سيف الله المسلول»، وهكذا ألقاب وتسميات تشير إلى صفات معينة اكتسبها أصحابها أو أفصحوا عنها في مناسبات متعددة.

(٧٨) يظهر ذلك بوضوح من أن صيغة المبايعة كانت تنص على أن المبايع يبايع على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، انظر: ابن قتيبة، الإمامة السياسة، جـ١ ص ٢٦.

(٧٩) انظر: عبدالحميد متولي، مباديء نظام الحكم في الإسلام، مرجع سابق ص ٣٢-٣٥، ص ٣٩.

(٨٠) أشار ادوارد شيلز إلى أن الميل إلى الصاق الصفات الكاريزمية يختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر، فهو يكون قوياً جدا في بعض المجتمعات بينما يضعف في الأخرى كما أنه يختلف من زمن إلى آخر خلال فترة حياة مجتمع بعينه فبعض المجتمعات توجد فيها الكاريزما في صورة قوية جدا بينما توجد في مجتمعات أخرى بصورة منتشرة وضعيفة ومشتتة وهاتان الصورتان تتواجدان في تغيير واختلاط في كل المجتمعات، انظر:

EDWARD SHILLS, «Charisma in the International Encylopedia of the Social Sciences, 1968, Vol. 2.P. 380.

(٨١) جاء تعبير «كاريزما الشعب» عند ادوارد شيلز وذلك في محاولة منه لعزو بعض الدلائل الديمقراطية لمدرك الكاريزما، انظر: **SHILLS, «Charisma, Order and Status», Op. Cit., P. 205.**

(٨٢) يعبر الدكتور الريس عن هذا بقوله: «ومن الأسس التي انبنت عليها فكرة الاجماع أن المعتقد في الشريعة الإسلامية أن رسول الله ﷺ لم يرثه أحد، في زعامته الدينية أو مقامه الروحي، لم يثره أحد ولا هيئة وإنما هو موروث بأمته كلها، فالأمة الاسلامية بأسرها هي التي ورثت الرسول ﷺ وقامت مقامه، في سلطته وقدسيته ومكانته، وهو ممثل بها منذ وفاته أبد الدهر» محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية، القاهرة، دار التراث، الطبعة السابعة، ١٩٧٩، ص ٣٨٢.

(٨٣) انظر في ذلك المفهوم: د. حامد ربيع، سلوك الممالك، مرجع سابق، جـ١ ص ٩١، ٢٠٨.

Prophet Leadership and Ideal Types of Aouthority A study in Islamic Political Throught

N. Abdul Kahlek

This study is built on the idea that therre is a spect of comparison between the ledership of the Prophet and charismatic ledership, especially in the «Crisis of Succession». The author also considers that the concept of «charisma» is closely connected to the general mood of Islamic society and thought. This idea is important, especially in regard to the way in which Islamic society treats some political problems, such as legitimacy, institutionalization, political opposition and modernization.

This study aims to investigate the idea that Islamic society and thought is lacking in the process of institutional of political life and in governing institutions. Instead, it is dependent on a despotic personal leadership. The concepts of Max Weber relating to power and authority have been used to interpret and analyse how Islamic society has some social and political problems.

The study comcloudes that Isiamic society is very sensitive to charismatic motivation. This greatly affects the way that Islamic society has treated some social and political problems, such as legitimacy, institutionalization, political oposition adn modernization.

However, nowadays there are many elements that encourage the institutionalization of an Islamic society and state.